الظواهر اللفظية في اللهجات العربية في فلسطين	دكتور عبد الرؤوف خريوش جامعة القدس المفتوحة – فلسطين منطقة طولكرم التعليمية

ملخص البحث

يتحدث هذا البحث عن بعض الظواهر الصوتية في اللهجات الفلسطينية ، ومدي ارتباطها باللهجات العربية القديمة ، وقد أبان البحث عن وجود علاقة بين هذه الظواهر وظواهر اللهجات العربية القديمة ، في أماكن تواجدها قبل الفتح الإسلامي ، والأماكن التي وصل إليها الفتح الإسلامي خصوصًا في بلاد الشام والعراق والأندلس .

Abstract

This research is a study of some phonetic (acoustic) phenomena in the Palestinian dialects, and the degree of its relations with the old Arabic dialects. This research proves that there are relations between the present phonetic dialects and the old ones that existed before the Islamic Conquest and in areas where it reached particularly, in Great Syria, Iraq and Andalusia (Spain and Portugal) .

مقدمة البحث

الحمد لله الذي نزل علي عبده قرآنًا عربيًا غير ذي عوج ، والصلاة والسلام علي رسل الله أجمعين ، وعلي من تبعهم بإحسان إلي يوم الدين .

وبعد

فإن دراسة اللهجات العربية الحديثة تعد من صميم الدراسات اللسانية قديمًا وحديثًا ، وتنوعت دراستها لتشمل الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، تلك الدراسات التي ذهب دارسوها مذاهب شتي ؛ فمنهم من دعا إلي دراستها علي حساب الفصحى ، ومنهم من درسها من أجل الإطلاع علي التطورات التي حصلت وتحصل في مستوياتها ، وأثر ذلك في العربية الفصحى ، ومدي الترابط بينها وبين اللهجات العربية قديمًا ، واستمرار بعضها إلي اليوم بين أبناء المجتمع العربي ، هذا الترابط من شأنه أن يقلص البون بين الفصحى واللهجات اللتين تسيران جنبًا إلي جنب كورقة يصعب وضع حد فاصل بينهما . لأن كلا من الفصحى والعامية تقوم علي ثنائية الحس و العقل ، فالتطور الذي تسير به هذه الثنائية (الفصحى و اللهجات العامية) هو من الانضباط إلي الانبساط ، من الصوت إلي اللفظ إلي الجملة الإعرابية دون أن تلغي أحدهما الأخري ، فاللغات تتطور نحو التلقائية من العامية إلي الفصحى المشتركة .

ومع بداية هذا القرن تنوعت الدراسات اللغوية بعد أن كانت مقصورة علي الدراسات التقليدية ، أو ما يعرف بالنص المكتوب ؛ فنشأت الدراسات الوصفية التي تعني بالنص المنطوق ، ثم تلتها نظريات تقوم علي مدارس ومناهج تعني باللغة واللهجات ، من هنا توسعت الدراسات اللغوية التي تهتم بالظواهر الصوتية وتطورها ، وإن اختلفت هذه الدراسات باختلاف أهداف الدارسين ؛ فالمستشرقين يهدفون من وراء دراستهم إلي التعمق بدراسة اللهجة ورصد ظواهرها ، بخلاف الباحثين العرب الذين يهدفون إلي رصد العلاقة بين الفصحى ولهجاتها ضمن

قوانين صوتية ليست مطردة تعبر عن العلاقة بينهما في وسط اجتماعي وتربطها (أي اللهجات) بالقوانين التي عرفتها اللغة بأحقاب زمنية مختلفة ٠

واللهجات الفلسطينية تتنوع بتنوع المجتمع الفلسطيني ، فهو مجتمع منقسم بين أرياف ومدن حضارية ، وبادية ، وتحكم كل بيئة من هذه البيئات قوانين نطقية ليست مكتوبة ، إنما تمارس منذ وجود العربية ، إذا علمنا أن سكان الجزيرة العربية باختلاف بيئاتها قد طالت أرض فلسطين إبان الفتح الإسلامي ، فالفاتحون القادمون قد تركوا بصمات لغوية وممارسات نطقية مختلفة باختلاف اللهجات العربية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية ٠

كما أن هذه اللهجات وسيلة تعبيرية عن الشارع الفلسطيني تمارس مع الفصحى ضمن ازدواجية لغوية يصعب الفصل بينها ؛ إذا علمنا أن لكل لهجة خصوصيات تميزها عن الأخري بتراكيبها ونبراتها الصوتية تُستمد من الفصحى ولهجاتها العربية القديمة ، وبذلك فهي لا تختلف كثيرًا عن أصوات الفصحى وظواهرها ، لكن كغيرها من اللهجات العربية أصابها التطور ، وجري علي بعضها تغيير لفظي ، مما أدي إلي اتخاذ أشكال نطقية أخري ، منها ما هو مرتبط بالفونيمات التركيبية ، وغير التركيبية ، ومنها ما هو مرتبط بالظواهر الصوتية المختلفة ٠

وعليه فإن هذه الدراسة تهدف إلي التعرف إلي الظواهر الصوتية الخاصة باللغة العربية ولهجاتها القديمة ، ومدي ارتباطها باللهجات العربية الحديثة عامة والفلسطينية خاصة ، كما تهدف إلي العرف إلي اختلاف هذه الظواهر بين اللهجات من جانب واختلافها مع الفصحى من جانب أخر ٠ ومما ترمي إليه الدراسة هو تطور هذه الظواهر عبر الأجيال العربية في أوساط المجتمعات العربية بمختلف العصور ٠

أما المنهجية التي اتبعتها فتقوم علي تنوع المناهج ما بين تاريخي لرصد التفاعلات الصوتية عبر القرون من خلال الظواهر وتطورها ، ووصفي تحليلي للوقوف علي الكلام المنطوق في فلسطين .

مصطلحات الدراسة :-

الفصحى (اللهجة المشتركة) :-

وهي اللغة التي وصلت إلينا بواسطتين : الأولي تمثلت في النصوص النثرية والشعرية ، والثانية بلغة التخاطب اليومي و اللهجات ، وتتكلم بها اليوم المجتمعات العربية وفق مجموعة من الظواهر اللغوية المعروفة لديهم مترابط بينهم ، ويتفقون علي صحتها ولا تخص لهجة بعينها ولا قبيلة بعينها وتعد إحدي لغات العمل الست داخل أروقة الأمم .

اللهجة :-

هي لغة قبيلة من القبائل العربية المعروفة توحدها مجموعة من الصفات اللغوية الخاصة بها ، وبتعبير آخر هي لغة العامة من الناس الذين يتداولون الدارج الكلام ، وتكون جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات تشترك جميعها في مجموعة من الظواهر اللغوية التي توحدهم في لغة مشتركة من الفصحى .

الظواهر الصوتية :-

حدث كلامي تكرر حدوثه نتيجة لبعض العوامل المؤثرة في ظهورها ، وهذا يستدعي دراستها بشكل علمي .

الظواهر الصوتية العامة في اللهجات الفلسطينية :-

١- ظاهرة السهولة واليسر :-

وهي نظرية تعني نطق الأصوات بأقل مجهود ممكن [١] وتنادي هذه النظرية بأن الإنسان في نطقه لأصوات لغته يميل إلي الاقتصاد في المجهود العضلي وتلمس أسهل السبل مع الوصول إلي ما يهدف إليه من إبراز المعاني وإيصالها إلي المتحدثين معه [٢] وبهذا يميل إلي التحول من الصعب إلي السهل من أصوات لغته .

ومم نادوا بهذه النظرية ، (كورتس هويتي) ، ويقول أصحاب هذه النظرية : إن التطور والتغير إرادي ، يحصل دون أن يشعر به المتكلم ودون أن يعمد إليه قصدًا [٣] .

ولعل تخلص أهل الحجاز من الهمز هو خير مثال علي هذه النظرية ، كما الحال اليوم مع التخلص من علامات التأنيث الثلاث واستبدالها بالهاء [٤] . وقد أورد اللغويون القدماء أمثلة كثيرة ، فابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) ذكر أن العرب تخطئ في جمع السن أسنان [٥] طلبًا للسهولة والجواليقي (ت ٥٣٩هـ) ذكر أن الناس كانوا يسقطون همزة (أبو) ويقولون للقرد بوزنه ، وإنما هو أبوزنه [٦] . وأورد ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) تقول العرب : الكوسج ولا تقل الكؤسج والجورب ولا تقل الجؤرب [٧] ، كما أن أهل الحجاز يقولون ياجل في يؤجل [٨].

وحديثًا تنتشر هذه الظاهرة في بعض اللهجات العربية ، وخصوصًا بين سكان المدن ، وتتفق لهجة مدن فلسطين مع بعضها في فقدان بعض الأصوات مثل / ظ / و / ث / و / ذ / وتبديلها بـ / ض / و / ت / و / د / طلبًا للسهولة واليسر ، ولعل الأصوات / ث ، ذ ، ظ / قد أبدلت في لهجة المدن في فلسطين إلي / ت ، د ، ض / فالأصوات / ث ، ظ ، ذ / أصوات أسنانية ، احتكاكية ، غيرت وأبدلت بأصوات أسنانية لثوية ، انفجارية وهي / ت ، ض ، د / ويري بعض اللغويين منهم إبراهيم أنيس (ت ١٩٧٧) أن الذال و الثاء والظاء أصبحت في لغة الكلام أصواتًا شديدة وهي / ت ، د ، ض / [٩] وهذا ما جعله يذهب إلي أن الأصوات الشديدة أسهل نطقيًا من الأصوات الرخوة ، ويعلل ذلك بأن الإنسان أسهل عليه أن يمر بأقصي سرعة ويصطدم بحائط من أن يحاول الوقوف قبل الحائط بمسافة قصيرة ، وكذلك اللسان والهواء الخارج من الرئة ؛ إذ أن اللسان يسهل عليه الاصطدام بالحنك مع الأصوات الشديدة من أن تقف حركته عند مسافة قصيرة من الحنك [١٠] .

وقد كانت العرب قديمًا تقول في الحثالة حسالة ، فالسين إحدي تحولات الثاء في اللهجات العربية القديمة والحديثة ، ويقولون أيضًا القنفد بدلاً من القنفذ ، والبدور بدلاً من البذور [١١] .

وفي لهجة أهل الأندلس كانوا يقولون التار بدلاً من الثأر ، وجدر الشجرة بدلاً من جذر [١٢] .

كما روي ابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧هـ) قولهم جدام في جذام ، ودخيرة في ذخيرة [١٣] .

وأورد يوسف المغربي (ت ١٠١٩هـ) قولهم ندل في نذل وتوم في ثوم و حنضل في حنظل [١٤] .

هذه الحالات لها حالات نطقية في اللهجات الفلسطينية فصوت / ذ / يتحقق في اللهجات الفلسطينية الريفية و البدوية بصوتين هما : / ذ / و / ظ / كما في أسماء الإشارة (هاظ) ، بدلاً من هذا . وفي لهجة المدن يتحقق نطقه صوتين آخرين هما : / ز ، د / كما في قولهم / هزا ، هدا ، إزا ، ديل ، ديب بدلاً من هَذا ، إذا ، ذيل ، ذئب ، وغيرها من الكلمات الكثيرة حتي في تركيب الجمل .

هذا التطور الذي أصاب الفونيم / ذ / ليتحول نطقيًا إلي / د / بنظر العلماء المحدثين لتسهيل عملية النطق ؛ إذ يتحول / ذ / من الاحتكاكية إلي / د / الانفجارية ؛ لأن نطق الأصوات الانفجارية أسهل من نطق الأصوات الاحتكاكية . ولعل سبب هذا التحول في بعض اللهجات يعود إلي قرب المخرج واشتراكهما بصفة الجهر ، إضافة إلي التمدن ، وقد بدّل القدماء نطق هذا الصوت ، وبذلك يكون هذا التحول امتدادًا تاريخيًا مع بعض اللهجات العربية القديمة ، وليس تطورًا حديثًا لهذا الصوت ؛ لأنه أصاب لهجات المدن دون بقية اللهجات المتعلقة بالأرياف والبوادي ، ويكاد لا ينحصر هذا التحول فيهما ، بل نراه في لهجات دول بأكملها كما هو الحال في لهجات أهل العراق .

أما الصوت / ث / فإن نطقه يتحقق في لهجة المدن في صورتين نطقيتين هما : / ت ، س / أينما وقع في الكلمة ، ويمكن القول أن نطقه بأحد هاتين الصورتين لا يخضع لقانون يطرد ، فمنهم من ينطقه سيناً أو تاء في الكلمة كما في قولهم :(جتالة ، حسالة)،(تلاتة ، سلاس)،(هيتم ، هيسم)،(متلت ، مسلس) بدلاً من (حثالة ، ثلاثة ، هيثم ، مثلث) وغيرها من الكلمات . أما في لهجات القري و الأرياف فيبقي نطقه كما في العربية الفصحي . ولعل سبب هذا التحول ناتج عن قرب مخرجها .

أما الصوت / ظ / فليس له تمثيل نطقي في لهجة المدن الفلسطينية ، وتطور نطقه إلي صوتين هما : / ض ، ز / مفخمة ، فيقولون (حنظل ، زلم ، ضهر، زرف) بدلاً من حنضل ، ظلم ، ظهر ، ظرف ؛ وهذا التطور عرفته اللهجات العربية القديمة أيضًا [١٥] .

وقد خلط العرب قدماء ومحدثون بين الصوتين / ض ، ظ / في نطقهم ، وذلك لأسباب منها :-

(١) قرب المخرج .

(٢) اشتراكهما في بعض السمات كالجهر و التفخيم .

(٣) عدم التدقيق في نطق صوت الضاد علي وجه الخصوص .

(٤) عدم وجود صوت مرفق للصوت ضاد حسب تصنيف القدماء .

(٥) وجود كلمات يتعاقب الصوتان بنفس الموضع في الكلمة كما في كلمات مثل : غيض [١٦] ، وغيظ [١٧] .

(٦) وجود كلمات بالضاد لا يقابلها كلمات بالظاء .

أما في لهجات الريف والبادية فيتحقق نطقه كما في الفصحي ، وهذا لا ينحصر في اللهجات الفلسطينية ، بل نجد الخلط بين الصوتين في كثير من اللهجات العربية الحديثة كما في لهجة أهل العراق و الخليج و تونس و الأردن .

ولكن هذه النظرية هي المبرر الصحيح لتبديل هذه الأصوات من الرخوة إلي الشديدة ؟ فإذا كان كذلك ، فكيف لا تتغير هذه الألفاظ في لهجات الأرياف و البوادي في المجتمعات العربية خصوصًا الفلسطينية التي تنطق هذه الأصوات علي حقيقتها ؟ إضافة إلي أن سكان الريف و البادية في فلسطين يبدلون الضاد إلي/ ظ / كما يبدلونها أيضًا في عمان وتونس و الخليج والعراق وغيرها فهو أي / ض / صوت شديد يتحول إلي رخو ، ويتحول من أسناني لثوي إلي أسناني ، وقد استغرب عبد الرحمن أيوب هذه النظرية في تبريرها لتبدل الأصوات " من ذا الذي يستطيع أن يدلني أن الدال أو الزاي أكثر سهولة في نطقها من الذال ، يتخذ مبررًا لظهور الذال الفصيحة زايًا أو دالاً (٠٠٠) وليس وضع اللسان بين الأسنان بالأمر المجهد ، ولا وضع خلفها بالأمر المريح ، ولو كان هذا حقيقيًا لانقرض صوت الذال من جميع لغات البشر استجابة لدعوي من يقول بجنوح الإنسان إلي التخلص من الأصوات التي يتطلب النطق بها جهدًا وعسرًا [١٨] .

ونسأل لماذا لم تنقرض الأصوات : الظاء و الثاء و الذال من اللهجات الريفية و البدوية في فلسطين ؟ ٠ بل نري أنه صوت / ض / تحول إلي / ظ / في هاتين اللهجتين ، ولكن رغم ذلك فإن عبد التواب يري أنها نظرية قائمة ، وهذا لا خلاف فيه ، ولكن نراه ينتقد أيوب واعتبر رأيه رأيًا مستعجلاً ويورد أمثلة علامات التأنيث الثلاث التي بدلت بعلامة واحدة هي / ـــه / في اللهجات العربية القديمة والحديثة ، ونجد ذلك في اللهجات الفلسطينية اليوم ، فيقولون : بيضه ، صفره ، حمره ، حبله ، سلمه ، أواه ، بدلاً من بيضاء ، صفراء ، حمراء ، حبلي ، سلمي ، أولي ٠

وتطرق القدماء إلي هذه النظرية (نظرية السهولة و اليسر) ، فالسيوطي يقول : " استثقل اجتماع الواوين فأبدل أولاهما (٠٠٠) والهمزة تقلب واوًا أو ياء " [١٩] .

٢- القياس الخاطئ :-

وهو قياس لغوي يعيش عليه العامة في ألفاظهم لوزن كلمة معينة فيقيسون عليها ؛ فيؤد ذلك إلي نشؤ كلمات جديدة في اللغة ناتج عن خروج الكلمة والصيغة عن مدارها الطبيعي في التطور والدخول في طبيعة كلمة أو صيغة أخري بوجود مشابهة حقيقية أو متوهمة بينهما [٢٠] يقول فندرس " القياس يتوقف إلي حد ما علي قانون الاقتصاد في المجهود أي قانون السهولة والتيسير الذي يتجنب إثقال الذاكرة بمتاع غير مفيد ، والصيغ التي يقتضيها القياس ، صيغ عليلة بمعني أنها غير مضمونة من الذاكرة لندرة استعمالها ، والقياس لا يستطيع التغلب إلا عند ضعف الذاكرة ، فالصيغة الشاذة النادرة الاستعمال تنسي وتصاغ من جديد طبقًا للقاعدة المطردة [٢١] ويقول بلاجشتراسر " إن الاختلاف في حياة اللسان أقدم من الاتفاق في أكثر الحالات " [٢٢] . فبناء الكلمات : اتبع من تبع ، واتخذ من تخذ ، وبذلك نشأت كلمة جديدة هي (تخذ) وردت علي لسان أحد الشعراء وهو الممزق العبدي:

وقد تخذت رجلي إلي جنب غرزها نسفًا كفحوص القطاة المطرق [٢٣]

وتطرق الجوهري إلي هذه الكلمة فقال : الاتخاذ افتعال الأخذ إلا أنه أدغم بعد تليين الهمزة وإبدال الياء تاء لما كثر استعماله علي لفظ الافتعال " توهموا أن التاء أصلية فبنوا منه فعل تفعل ، قالوا تخذ يتخذ [٢٤] . واستشهد بهذا البيت أبو عمرو بن العلاء حين قرأ قوله تعالي " لتَخذت عليه أجراء " الكهف ٧٧ ، معبرًا أن هذا فصيح القول [٢٥] .

ونجد استخدام تقي بمعني اتقي كما في قول الشاعر عمرو بن قميئة :

فلو أنني أرمي بسهم تقيته ولكنني أرمي بغير سهام [٢٦]

ويؤدي القياس إلي التطور الدلالي في مثل تطور كلمة عتيد ، التي تعني حاضر إلي معني آخر متعارف عليه اليوم وهو القوم أو عتيق قديم أو جبار قوي ومعناها في اللغة حاضر " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد " [٢٧] .

يقول الجوهري العتيد : الشئ حاضر المهيأ وقد عتده تعتيدًا واعتده إعدادًا أي أعده يوم ومنه قوله تعالي : " واعتدت لهن متكأ " [٢٨] . أي أهـدت وهيـأت وحضرت ، وردت هذه الكلمة عند ابن جني في قوله " فإن الجواب عن هذا حاضر عتيد والخطب فيه أيسر " [٢٩] ولعل تحول المعني عند العوام في أن الأصـوات : / ع / و / ت / و / ي / تشترك مع عتيق وعتيد في النطق علي الوزن .

وعرفت هذه الظاهرة عند القدماء أيضًا بالقياس الخاطئ بـنفس الكلمـة . يقول السيوطي في شرح الفصيح لابن خالويه : كان الفراء يجيز كسر النـون .. وهو خطأ بالإجماع وإن كان الفراء قاله قياسًا فقد أخطأ القياس [٣٠] .

وفي اللهجات الفلسطينية والعربية الحديثة والقديمة عمومًا نجد لهذه الظاهرة تمثيلاً في نطقهم ففي قولهم / كراس / للدلالة علي المفرد علمًا أنها جمع ، ومنـه اختلاف الحركات يؤدي إلي القياس الخاطئ فكلمة مفتوحة الحرف الأول كما فـي / بَربيش / يقاس عليها / بَرميل / بَنزين / و / خَرطوم / يقاس عليها / شَمروخ / و / طرطور / و / قنديل / و / كَرميد / . ويقاس علي / خُلخـال / غُربـال / و / قُربان / و / جُربان . ويقاس علي / وَله / بدلاً من / ولد / وَلِ / للبنت .

ومن أسباب القياس الخاطئ التمدن و المبالغة في التفصيح ، ويسميه فندري الإسراف في المدنية أو المبالغة و الغلو في مراعاة الصحة [٣١] .

ولعل الحذلقة هي صيغ تنتج عن الحرص الشديد أدت إلي القياس الخاطئ ؛ إذ الهمز اعتبر من العربية الفصيحة ، وأخذ العرب علي أثر ذلك يهمزون ما ليس أصله همزًا ؛ فنتج القياس الخاطئ ، فإذا كانت كلمة (فقأت) فصيحة ، و(فقيت) غير فصيحة ، فإن قياس لبيت الحج ، ورثيت زوجي ، سيكون لبأت الحج ، ورثأت زوجي بإثبات الهمز [٣٢] ولعل الحجازيين أكثر من تأثر بذلك لأنهـم لا يهمـزون فتوهموا ذلك ، فهمزوا يؤرخ إذ الهمزة غير موجودة لأن جمعها تواريخ .

ومن القياس الخاطئ في اللهجات الفلسطينية قولهم (ما شفتكِش) بكـسر الضمير الكاف فقاسوا عليه :(عليجِم) و (كلتلجِيش) و (حجيتلِج) و (عليكِم).

ومنه القياس علي كسر حروف المضارعة كما جاءت في كلمة (إخـــال) في بيت زهير :

وما أدري وســوف إخــال أدري أقوم آل حــصن أم نــساء (٣٣)

فيقسون علي ذلك : يعرف ، و يشرب ، و يمشي وغيرها .

وهذا التمثيل النطقي عرف قديمًا بتلتلة بهراء ، وقد عدها أبو حيــان لغــة خاصة لبني أسد وربيعة وقيس [٣٤] في حين عزاها غيره لـــ (بهراء) وهو الرأي السائد [٣٥] ، ثم تكلمت بها عامة العرب . واستند اللغويــون بــرأيهم إلــي كلمــة استخدمها الشعراء ، وهي كلمة (إخال) ولم ترد هذه الكلمة في الــذكر الحكــيم ، ومع ذلك اعتبروها شاهدًا علي جواز كسر حروف المضارعة دون سائر الكلمــات التي تكلم بها العرب قدماء ومحدثون .

٣- بلي الألفاظ :-

وهي سقوط حروف من الكلمة أو الجملة واختصارها في كلمة صــغري ؛ إذ كثرة استعمال الألفاظ يؤدي بها إلي التعرض لبلي ، وتجعلها عرضة لقص أطرافها تمامًا كما في العملات المعدنية والورقية [٣٦] .

واللهجة الفلسطينية تعرف مثل هذه الظاهرة بكثرة ، ففي قولهم (هــسه) و (إسه) في { هذه الساعة } ، بمعني الآن كما أن العراقيين يقولون في مــسال الله بالخير (الله بالخير) ، وفي اللهجة الفلسطينية (مسا الخير) ، وقولهم أيضًا فــي اللهجات الفلسطينية (احكيلك) في { حتي أحكي لــك } وفــي اللهجــات الــثلاث (مدنية ، ريف ، بادية) : (أولك و أكلك و آكلك) بدلاً من { أقول لك } . وقديمًا عرفت بعض اللهجات العربية القديمة مثل هذه الظاهرة قولهم (حيث تالقاك) فــي { أتيت حتي ألقاك } [٣٧] .

وعند البدو نجد (أبي) في { أبغي } و(ايش) بدلاً من { أي شئ } ويقولون (أديش و كديش و كَديش) في لهجات : المدينة والريف و البادية علي التوالي في { قدر أي شئ } ، واليوم تدل علي السؤال عن ثمن البضاعة للشراء .

ونجد (ما شُفتِش) و(ماريتِش) وهي في الأصل { ما رأيت شيئًا } و { ما شفت شيئًا } ، فاختصرت شيئًا إلي (الشين) وارتبط بالكلمة السابقة لها في الكتابة ، وهكذا يقاس (ما سمعتِش) ، (ماكلتِش) ، " ولا ترتبط هذه العبارات إلا في حالات النفي ، وفي (بوكل) و (بيشرب) و (بيلعب) فالباء ارتبطت بالفعل المضارع { يشرب } كذلك في { يأكل } و { يَلعب } ، وهي في الأصل كانت بالفعل بقي أي : بقي يلعب ، وبقي يشرب ، وبقي يأكل ، فتم إبدال الحرفين : / ق / و / ي / وبقي منها الباء فارتبطت بالفعل وأصبحت تدل علي الفعل بقي و الفعل المضارع المرتبط بها ومثلها يقاس بيشوف ، و بيجري ، و بيهدي ، ويعلل أحمد عيسي ذلك بقوله " إن ما حدث لهذا الفعل { بقي } من التفريغ والبلي أمر قديم في عصور العربية ، وهذه الزيادة علي الفعل المضارع قديمة العهد جدًا ، فقد قرأت هذا التحريف في كلام أناس من القرن الثالث الهجري وذلك في كتاب (دور التيجان وغرر تواريخ الأزمان) لأبي بكر بن عبيد الله صاحب صرخد من علماء القرن الثامن ولكن الكلام منقول فيه عن إناس من القرن الثالث الهجري [٣٨] .

٤- ظاهرة الكشكشة :-

وهي إلحاق الشين بعد كاف المخاطب ، في قولهم (ما شُفتكش) أو بعد فعل مثل (شفت) فيصبح النطق (ما شفتش) ، وهي أيضًا في حالة النفي ، وهي ظاهرة عامة في اللهجات الفلسطينية ، عرفتها العربية القديمة ، ومن أمثلة قولهم : (ما كَلمتَكِش) ، (مَريتَكش) ، (مَسمعتكِش) ، (ما شُفتش) ، (مَتكَلمتس)، (ما نَظرتش) ، (مَعرفتش) ، والقائمة تطول . وهنا نود أن نذكر أن الكشكشة ليست هي / ج / كما أورد البعض أو / تس / ، إنما هي إضافة حرف الشين إلي

الفعل ليحل محل كلمة شئ في الأصل ، وأصبحت الشين جزءًا من الكلمة ، كما أوضحنا سابقًا .

٥- الاشتقاق الشعبي :-

ويعني به ، ربط كلمة من الكلمات بكلمة أخرى شائعة والظن بها أنها مشتقة منها ، كما يقول ماريو بأن " الخطة التي عن طريقها يخلق عقل الجماعة علاقة مزيفة ، وإن كانت مستحسنة بين كلمتين " [٣٩] ، ويري فندرس أن " الذهن يميل إلي أن يصل بين الكلمات تبعًا لشكلها الخارجي وأحيانًا علي عكس ما يقتضي المعني بل علي عكس ما يقتضي العقل السليم ، وقد نسوق مشابهة غامضة بين كلمة وكلمة أخرى أكثر شيوعًا أو أكثر شهرة إلي التقريب بينهما ومثال ذلك كلمة حانوتي ، فالربط قائم بين الحانوتي والحانوت ولا علاقة بين من يجهز الموتي للغسل والدفن والحانوت المنسوب إلي الحنوط ، وهو نوع من الطيب يخلط للميت خاصة ، فالنسب إليه حنوطي [٤٠] فحصل الاشتباه الصوتي بين حانوت وحانوط ، فالحانوتي : صاحب المتجر .

ومن بين الاشتقاق الشعبي ما اشتق منه كلمات في بنيتها غير عربية ، مثل (قهوجي) (كندرجي) ، فالجيم ليست علامة أو أداة نسب بل هي أداة نسب في اللغة التركية فحصل الخلط . ونجد كلمات مركبة مقطعين ، الأول عربي (حرم ، سلح) والآخر تركي (لك) ، مثل : (حرملك) و (سلحلك) ، ويعني بها مكان الحريم ، ومكان السلاح .

خاتمة البحث

إن الوقوف علي مناطق نطق الأصوات في فلسطين بالظروف الراهنة لم يكن سهلاً ؛ إذ الظروف المحيطة بفلسطين تقتضي إبراز الكثير من الجوانب المختلفة التي تعمل علي ربطها بالوطن العربي الكبير ، فكل المحاولات الآن من قبل (إسرائيل) تهدف إلي تهويد مدينة القدس وإزالتها عن الخريطة السياسية العربية ، ولعل تناول مثل هذا الموضوع يظهر جزءًا من الحقائق التاريخية الثابتة لفلسطين ، وربطها بالتالي مع المجتمعات العربية روحيًا وفكريًا واجتماعيًا ، فهي لم تنفصل عنها يومًا علي مدار التاريخ ؛ فاللغة العربية ماثلة فيها بلهجاتها وأصواتها منذ أن وطأت أقدام الكنعانيين فيها قادمين من جنوب الجزيرة العربية وشرقها ، وازدهرت العربية وانتشرت كحضارة امتدت واسعة الأفق عبر المتوسط إلي ساحل إفريقيا الشمالي ، وبقيت هذه الحضارة مستمرة رغم الحروب والتنكيل التي تعرض لها السكان ، وازدهرت قوة وحضارة بقدوم الإسلام إليها ، فدخلته طواعية لا كرهًا ؛ وبذلك توسع الامتداد اللغوي فيها وانتشر وارثًا إرث كل الحضارات والأمم التي أقامت علي أرض فلسطين . وعليه فقد توصل الباحث إلي عدة نتائج ، من أهمها :-

(١) وجود اللغة العربية منذ القدم ، مع العرب الأوائل الذين عاشوا في فلسطين منذ الألف الثالث قبل الميلاد .

(٢) انتشار اللهجات العربية القديمة في فلسطين ممثلة بالكشكشة والتلتلة والوهم وغيرها .

(٣) وجود علاقة الظواهر الصوتية في فلسطين والظواهر الصوتية المنتشرة اليوم في معظم أقطار الوطن العربي ، خصوصًا في العراق وشمال شرق الجزيرة العربية موطن الكنعانيين الأول الذين سكنوا البحرين أول هجرتهم من جنوب الجزيرة العربية ، وتونس والسودان والأردن . وهذا يدلل علي أن موطن هذه اللهجات هو الجزيرة العربية .

(٤) غياب بعض الأصوات اللغوية مثل صوت القاف ٠

(٥) وجود علاقة بين الظواهر الصوتية المنتشرة في فلسطين اليوم والظواهر الصوتية التي عرفتها المجتمعات العربية القديمة كالأندلسية ٠

(٦) وجود ترابط بين قضايا مشتركة في العاميات المنتشرة في الوطن العربي يعزز ارتباطها بالفصحى المشتركة ٠

هوامش البحث

(١) بالمرج ، الصوتيات ، تحقيق محمد حلمي خليل ، الخرطوم ، ص ٨٢ .

(٢) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ط ٥ ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٨، ص ٢٣٤ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٣٥ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٣٥ .

(٥) ابن الأنباري (أبو البركات) المذكر والمؤنث ، تحقيق رمضان عبد التواب ، القاهرة : ١٩٧٠ ، ص ٢٨٨ .

(٦) الجواليقي ، التكملة فيما تغلط به العامة ، تحقيق عز الدين التنوخي ، دمشق : ١٩٣٦ ، ص ١٣١ .

(٧) ابن السكيت ، إصلاح المنطق ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ،القاهرة :١٩٥٦، ص ٦٢ .

(٨) المبرد ، المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق ، القاهرة : ١٩٦٨ ، مطبعة بيروت : عالم الكتاب (د.ت) جـ ١ ، ص ٩٠ .

(٩) إبراهيم أنيس ، الأصوات الغوية ، ص ٢٣٦ .

(١٠) المرجع نفسه ، ص ٢٣٥ .

(١١) أبو الطيب اللغوي ، الإبدال ، تحقيق عز الدين التنوخي ، دمشق : ١٩٦٠ ، جـ ١ ، ص ١٧٤ ، ٣٥٧ .

(١٢) ابن مكي الصقيلي ، تثقيف اللسان في تلقيح الجنان ، تحقيق عبد العزيز مطر ، القاهرة : دار المعارف ١٩٨١ ، ص ١٠٥ .

(١٣) ابن هشام اللخمي ، المدخل إلي تقويم اللسان ، تحقيق رمضان عبد التواب ، القاهرة : ١٩٨٣ ، ص ٣٦ .

(١٤) يوسف المغربي ، منع الأسر عن كلام أهل مصر ، موسكو : ١٩٦٨ ، ص ٧١ ، ٩٢ .

(١٥) المبرد ، المقتضب ، ص ٩٢ .

(١٦) معناه ، النقص قال تعالي : " وما تغيض الأرحام وما تزداد " الرعد ٨ . انظر لسان العرب مادة (غيض) .

(١٧) هو شدة الغضب قال تعالي : " شدوا علي الأنامل من الغيظ " آل عمران ١١٩ . انظر اللسان مادة (غيظ) .

(١٨) عبد الرحمن أيوب ، العربية ولهجاتها ، القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٨ ، ص ٣٢ .

(١٩) السيوطي ، همع الهوامع ، بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ، (د . ت) جـ ٢ ، ص ٢١٩ .

(٢٠) ماريو باي ، أسس علم اللغة ، ترجمة أحمد مختار عمر ، طرابلس : جامعة طرابلس ، ١٩٧٣ ، ص ١٤١ .

(٢١) فندرس ، اللغة ، ترجمة عبد المجيد الدوخلي ومحمد القصاص ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٠ ، ص ٢٠٦ .

(٢٢) برجتشرايسر ، التطور النحوي للغة العربية ، ترجمة رمضان عبد التواب ، الرياض : ١٩٨٢ ، ص ٤٩ .

(٢٣) الأصمعي ، الأصمعيات ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٥ ، قصيدة ٥٨ ، ص ١٨٩ .

(٢٤) الجوهري ، الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، القاهرة : دار الكتاب العربي (د . ت) جـ ٢ ، ص ٥٥٩ .

(٢٥) عبد العال سالم مكرم ، القراءات القرآنية ، بيروت : مؤسسة الرسالة ١٩٩٦ ، ص ١٠٧ .

(٢٦) ابن دستوريه ، تصحيح الفصيح ، تحقيق عبد الله الجبوري ، بغداد : ١٩٧٥ ، جـ ١ ص ٢٢٩ .

(٢٧) ق ، آية ١٨ .

(٢٨) الجوهري ، الصحاح ، جـ ١ ، ص ٥٠٢ .

(٢٩) ابن جني ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، ط ٢ ، بيروت : المكتبة العلمية ، (د . ت) جـ ١ ، ص ٢٩٨ .

(٣٠) السيوطي ، المزهر في علوم اللغة العربية ، تحقيق محمد جاد المولي وآخرون ، بيروت : المكتبة العصرية ١٩٨٧ ، جـ ٢ ، ص ٥٠٤ .

(٣١) فندرس ، اللغة ، ص ٨٠ .

(٣٢) ابن السكيت ، إصلاح المنطق ، ص ١٥٨ .

(٣٣) ديوان زهير بن أبي سلمي ، ص ١٧١ ، ولسان العرب مادة (قوم) .

(٣٤) أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، تحقيق عبد الرازق المهدي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠٢ ، جـ ١ ، ص ٢٩ .

(٣٥) الحريري ، درة الغواص في أوهام الخواص ، اسطنبول : مطبعة الجوانب ، ١٢٩٩هـ ، ص ٢٥٠ .

(٣٦) رمضان عبد التواب ، التطور اللغوي ، القاهرة : مطبعة المدني ، ١٩٨١ ، ص ٩٤ .

(٣٧) الزبيدي (أبو بكر الأشبيلي) ، لحن العامة ، تحقيق عبد العزيز مطر ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١ ، ص ١٤٥ .

(٣٨) أحمد عيسي ، أصول الكلمات العامية ، القاهرة : ١٩٣٩ ، ص ٢١ .

(٣٩) ماريو باي ، أسس علم اللغة ، ص ١٥٩ .

(٤٠) أحمد عيسي (١٩٣٩) ، ص ٦٠ .